



صاحبُ الظلِّ الأسود

تأليف :

مرح إبراهيم سلوم

المقدمة :

قيلَ في إحدى الروايات :

– عزيزي :

صاحبُ الظلِّ الطويل

وبمجازٍ بلاغيٍّ أقولُ أنا :

– عزيزي :

صاحبُ الظلِّ الأسود

مرحباً، عزيزي صاحبُ الظلِّ الأسود

أتذكرُ حينما جَمَعْتنا تلك الدوامةُ العاثيةُ؟...

وحينَ تَحاذفنا إختلاسَ الإيماءِ الكاذبِ؟...
أعتقدُ أننا أناسٌ نُجيدُ إدعاءَ السعادةِ ببراعةٍ...

حمقى هم من يظنونَ أننا سعداء...
هل تعلم يا صاحبُ الظلِّ الأسود

لو كان ما في القلبِ يُدركُ...

لأفصحةِ قلوبنا بركانَ موهجةً من الحزنِ الذي لا
يخمد...

يُقالُ أن القلوبَ مَساكنَ...

ومَسكني موحشٌ ومظلم...

غرباءُ نحن في عينِ فؤادنا ...
قرباءُ نحن وما بيننا يعلوهُ النكران...

كيف لو أن القلوبَ تُبصر؟...

لأدركة أبصارها ما يُخفيه الزفية والخداع.

جناةٌ نحن في أنفسنا...
يُشار إلينا بالبنانِ في حقِ هذا الصخبِ
الذي يعتلي قلبي ...

ماذا وإن كان العُمر بالمظهر؟...
لكان لي في ديارِ المسنين مقعد...

يعتلي رأسي شيبُ الشباب...
شيبُ أنبتهُ تراكمِ الهمومِ على قلبي
اليافع...

تجاعيدُ هي وريثةُ الأُحزان...
مهلاً يا صاحبُ الظلِّ الأسود...
ما زال العُمرُ يمضي بنا ودواخلنا
ساكنة...
طموحاتنا مجمدة...

فقط عقاربُ الساعة من تمضي
قدماً...

قد إختنقت زهرةً شبابي من مُتنفيسِ
السُّم القاتل...

أذبلت فما بَرِح الزمانُ بإنعاشِ أوراقها
المتساقطة...

ولا بَرِح الزمانُ بإقافِ تساقطِ أحلامي
المنشودة...

أتدري ما المؤسف ؟
أن الحزنُ أخام على جانبي المشرق...

بتُّ لا أذوقُ حلاوةَ الزادِ من الدنيا....
ما لي سوى كفِّ الأحزانِ توسداً...
ما لي من متقلبٍ سوى جرحٍ وإيذاءٍ.

طُرحتُ سِينُ سؤَالٍ لصاحبِ الظلِّ
الأَسودِ، مضمونها من أنا؟...

ليجيبَ بوصفِ فلسفي في أبياتٍ
شعر بلساني قائلاً :

أنا البريئُ من هوسِ الجنونِ ولكنني
في صحائفِ العقلاءِ لا ذكر لأسمي
ينادي

أنا المتقشفُ عن لهو الزمانِ المنتهي
وفي حكمِ الضعيفِ لستُ أمادي

أنا الشقيُّ المبتلى المتعرجِ
أنا الحلِيمُ المهتدى المستاءِ

يا تُرى هل لي بين الزمانِ من مشردٍ
وهل لي بين الأنامِ قلبٌ علي يحاني

قتيلُ الظمّاتي أشد قساوةً
من طعنِ الصلالِ الدامي

هذا من تلهف بعطشٍ راجياً
إرتواءٍ منبعٍ من قديمِ خالي

من ذا الذي سهمُ الرماةِ أصابهُ
تصدى الطعانَ بقوةٍ وثباتٍ

وما بعد الحنظلِ من مرارٍ
إلا طعنةٌ غدرٍ من ذوي إحسانٍ

يا صاحبُ الظلِّ الأسود مهلاً
على قلبي الميتمِ حزناً تملأ

على بقاع الحزن والهَم أستهلأ
وما المرثو سوى قلبي المُعلا

نشدتُ قمم الجبالِ رجوتُ سهلاً
وما نلتُ إلا البغيةَ قتلاً

يا عاشقاً يا صاحباً للسرابِ الأسودِ
يا ويلتي مالَ الزمانُ ومن سواي تدلا

على عاتقٍ من توضعُ الملامةُ يا
صاحبُ الظلِّ الأسود؟ ...
وهل تراني في لومِ الدهر أنجو من
ضميرٍ يتأكلُ حسرةً على ما
مضى منه؟...
أم أقيم مآتمَ نفسي الضحية؟...
وهل أرثي صوابَ رأيِ الراجح؟...
كما رثيتُ حكمتي وصوابي؟...
لا أعلمُ
وما أعلمهُ
أنني أبدو بحالٍ يرثي لها .

الجميع غادر تتبع خطواتي...
حتى ظلي قد فارقني...
أنت الوحيدُ ساندي في محنتي،
رغم السوادِ الدامس الذي
يختلسُ ظلك
ويُلقي على ساعدي المتاعب
برغم التفكير المفرط
وقلة النومِ الحالك
إلا أن جانبي السوداءوي هو
صديقي
أجل، أنه أنت يا صاحبُ الظلِّ
الأسود
الملقبُ "بالحزن."

عواصفُ الفكر لا يضاهي
نقيعها شيء...
حينها تفقدُ جل ما تمتلك...
حتى ماءً عينك لا تغفو...
أصبحت تلك الهالات جني
لمعاركي السودوية...
ندوبٌ حقرت على وجهي
المتعب
وما من ندوبٍ إلا ندوبُ القلب
المحطم.

هيا يا صاحب الظل الأسود
أتبعني إلى ظلمتنا الحالكة...
على ضفاف الحزن
نمتطي قارب
نجذفُ بعيداً عن أرض
السعادة
إلى دوامتنا البائسة
وملامحنا التعيسة
بأعصابٍ متلفة
هيا يا صاحب الظل الأسود.
النهاية